

(ذاكرة دعوية)

ما لاحَ برقٌ أو ترنَّمَ طائرٌ *** إلَّا انثنيتُ ولي فؤادٌ شيِّقُ

تعليق

د . حمزة بن فايع آل فتحي

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ) سورة الأعراف: ٤٣ .

(رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ) سورة آل عمران : ٨ .

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ أَعْلَمُ) رواه البخاري في الأدب المفرد وهو حديث صحيح .

مــا لاحَ بَـرقٌ أَو تَـرَنَّمَ طـائِرٌ ** إِلّا انثنَيـتُ وَلـي فُـؤادٌ شَـيِّقُ

الفهرس

الاستهلال

الحمدُ لله، تعاظَمت خيراتُه، وتضاعفت موانحُه، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله، نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين....

أمابعد :

فإنما تنهمرُ الذكريات ، وتتراقص ألفاظها ، للصور الجمالية فيها، والأنسامِ الرافة تجاهها ، فتقيدها اليراعة، وتنسابُ معها الروح، فتلتقط فيها كل طيب وجميل، ومن ثم كانت محبوبةً عند الكتّاب ، ومشوقةً عند التأليف ، يهواها الخاطر ، وتسيل معها المحابر ، وتنشد لها الأذهان. وقد يسّر اللهُ كتابةَ جزأين، سيرةً دعوية ، أولهما "من الذاكرة الدعوية" والآخر " والشوق

أغلب " . وثالثها الآن (قلبٌ شيق) فما زال الفؤاد يستذكر، ويستعيد ، ويستلهمُ مواقفَ وحوادث لا تعرو عن الطيبة والجمال، ويستحب تدوينها ، وحكايتها للقراء والأجيال، فلم يبق في الظروف الصعبة سوى الذكريات الحسنة ، والخواطر الجميلة ، التي تنفض الأطلال القديمة، فيستروحها القلب، ويعبر عنها الإحساس ، فيطعم بها الإنسان متعةً وقوةً ونشاطا .

ولذلك لا يستحسنُ من الذكريات، سوى الذكريات المفرحة وليست المؤلمة ، فما ينبغي كتابة المحازن والمتاعب إلا على وجه التمثيل والمرور العابر، وليكن تركيزنا على جمالياتها وروائعها ومحاسنها . وهو ما نحاولُ صياغته هنا، نسجل جميلَ ما طعمنا، ورشيق ما ألفنا، وخصيب ما جرعنا، لان القصدَ

الـذكرى المؤنسـة ، ولـيس المؤرقـة التـي اشـمأز منهـا الشـاعرُ

محمود غنيم رحمه الله بقوله في " وقفة على طلل " :

إني تذكرتُ والذكرى مؤرقةٌ ** مجدًا تليداً بأيدينا أضعناهُ

فهذه الذكرى محزنةٌ كئيبة ولها معالجاتها الخاصـة ، ومسـوداتها

الجـادة، في كـلام العلمـاء ..! ولكننا هنا عنينا ذكريات الـدعوة

العطـرة، ومواقفهـا العيـون النضـرة، وقـد نشـط أهلوهـا ، وتمـدد

محبوها ، واحتشد طالبوها ، ولله الحمدُ والمنة .

ولذلك كان القلب شيقًا بجمعها وتسطيرها ، وقبلهـا كـان يترنم

بذكرها وحديثها وبرامجها، فما لاحت له رائحة ، أو ترنم طائر ،

إلا قصـدهم لقـاءً او زورةً أو توجيهـا وإصـلاحًا. فهـي سـلوته

الفائقـة، وروحـه العابقـة ، وحليتـه الشـائقة ، فاقـت كلزمكانـة ،

وزادت على كل منصب، وتجاوزت كل سعادة، بل هي السعادة بعينها، والسرور في تيجانه، والانشراح في توهجاته ، كلما ضعفت هيجتها محاضرة، أو زادتها كلمة ، أو جددتها موعظة.

راح بها مراحَ الطيبين، وسار بها سيرةَ المفلحين ، انتصارَ بها أنتصارَ العارفين ..! ومن عرف مثل تلك الطعومة، لم يسلُ بسواها ، ولم يهنأ بغيرها ، وما تلذذ بشبه حسنها وطلاوتها. كل الخير في جوفها ، وغالبُ الفضل في ينابيعها، ومصدر النور من أفيائها ، فرضي الله عنها وعن أحبابها ومرتاديها...(ومن أحسنُ قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا) سورة فصلت .

يدعو فيسمو، وينصح فيرتقي، ويعظ فيطيب، وتغادره الأسقام ، وتتباعد عنه المتاعب ، وتخشاه الأرزاء ، وكلما وُفق العبدُ

للصدق وحُسن العمل، زاده الله من أفضاله ، وأنار له من فتوحاته ، وأفاض عليه من بركاته . وللدعوة رحمةٌ وبركة ومنحة، يستطعمها من غاص في بحرها ، أو استدار في محيطها، وبلغ غايتها، فإنه يغنم مغانمها، ويظفر بمحاسنها ، وينال مكاسبها.

وكل مكسب فيها يتجاوز ثروات اهل الدنيا، ويربو على مفاخرهم ، لأنها مفخرة المفاخر ، وفريدة الدر والجواهر، ويتيمة الدهر والمآثر.

تُثري بلا انتهاء، وتُفيضُ بلا انقضاء ، وتجودُ بلا اكتفاء ..! فلا تكتفِ بطلّاتها ، أو تقتصد في بسَماتها ، بل انهلْ منها مناهل ، وخذْ منها المحاصل ، واجمع منها المحافل والنوائل ...

وحينما ينساقُ القلمُ انسياقًا ، وتنساب الأنفاس انسيابا، فلا تملك الأفكار إلا الاستجابة ، وقفو حصان القلم الذي يبحرُ في أعماق الذكريات الدعوية ، ليسطر شيئا من الأخبار التي قد يهتمُ بها بعض الأطراف أو يسألون عنها لغاية أو لفائدة ..،!فاستجبنا واستجاب ، وانطلقنا بلا ترداد لنسجل القلب الشيق بالدعوة وأهلها ، ونثبت بعض مستحسنات ما حصل في طريقها من معان وقصص ومواقف وطرائف ، لعل فيها عظة واعتبارًا، أو تنبيهًا وتوجيهًا.،! وها هنا يقدم جزءاً ثالثًا بعنوان (قلب شيق) ، ويقيده هنا بقلم الشوق والاشتياق ، ويراعة الحب والانشراح ، فإنك هنا تتكلم عن أعظم ما وُهبته بعد الإسلام ، المسار الدعوي ، والبلاغ الإصلاحي، والنصح الاجتماعي ، وفي

الحديث (الدين النصيحة) كما في صحيح مسلم . وكما قال المتنبي :

ما لاحَ برقٌ أو ترنم طائرٌ ** إلا انثنيتُ ولي فؤادٌ شيقُ

فلا يجدُ الداعيةُ الغيور نفسه إلا في رحاب الدعوة والعلم ونفع الناس، حيث يستلهم العلم، ويجمع المعرفة ، ويصنع المنتج الوعظي ، ثم يبذله في مرضاة الله ، سائلًا المولى التوفيق وحسن القصد . وقد يتحول ذلك المنتج الدعوي الى كتاب نفيس ، ينفعُ الله به ، فيبطلع ويطير في الآفاق ، وليس ذلك على الله بعزيز . فلا تتقال محاضرةً جمعتها ، أو كلمة دبجتها ، أو حكمة قنصتها ، فإنها بالإخلاص، ودقة الجمع والبحث تتحولُ إلى كنز عند

أهلهـا، يضـنون بهـا ولا يبـذلونها مهمـا كلـف الـثمن، أو تحفـزَ الإغراء ، والله الموفق .

محايل عسير

١/ وانفرجت أساريرُ المحاضرة..!

• بقدر ما الدعوةُ شوقٌ إيماني يتغلغل في داخل الداعية ، إلا أنها قد تكونُ كربةً بسبب المفاجأة ، أو ضعف التحضير ، وقلة المادة المجموعة ، فيكتربُ من جراء الموعد المرصود ، ويغتمُّ اغتمامـًا لا يكاد يسيطر عليه ..! ويتذكرُ قديما ذاتَ ليلة في درس الفهد الأسبوعي انعقد درسٌ بعنوان (قيَمٌ من حياة ابن القيم) رحمه الله ، ولكنها تيسرت ، وهي من أنفس المحاضرات تحضيرًا ، وجمعًا، وأداءً...! لكن هذه الحديثة، وقعت ككربةٍ مفاجئة ، ولم تسعف القديمة إشكاليةَ الحديثة .. حيث بعد أكثر من عشر سنوات أُعلنت المحاضرةُ المباغتة عن صفات ابن القيم تقريبا ، في " جامع

المحسنين بالدف ".. فحاول الاعتذار ، ولكن المنسق الزيلعي أحرجه وقال : أُعلنت وما باليد حيلة ، وأعانكم الله...!

- فضاقَت به الساعاتُ ، وحوصرت لحظاتُه، وتزاحمت عليه الأشغالُ من كل مكان، ولم يستطعْ الجمع إلا يسيرا ، فجاء إلى الجامع الجديد، وإمامه الخلوق، -وكان أول مرة يزورهم- وهو مضطربٌ لا يلوي على شيءٍ ، والتحضير على منهجه يُعدّ هشًا، والاستعدادُ ليسَ مرتبا ، ولكنه جاء مُكرهًا مضطرًا..!
- فما إن اسَتهلَّ المدخل ، وولجَ قلعةَ ابن القيم ، حتى ألانها اللهُ وفتح ربُّ العباد، وانفرجت أساريرُ المحاضرة ، فالهم

مفروج، والغم مدفوع ، وسيقت مقولات ابن القيم وشيء من صفاته، وعلَّق على حكمه النادرة، ومقالاته الباهرة، وحصل استطرادٌ إيماني مُبهج، تسللَ قلبَ قائله قبل السامع ، وانساب في روح الملقي قبل الحضور، ووقعت منه موقعًا منيفًا ، لا سيما والحديث عن إمام رباني، عرف بالخضوع والتأله والإخبات، ورُزق القبول علما وفهمًا وتأليفًا، وألبس اللهُ كلامه رونقًا ساحرا ، وبيانًا زلالاً ، ومن مقولاته الجميلة والعجيبة رحمه الله : (يخرجُ العارفُ من الدنيا ولم يقضِ وطره من شيئين: بكاؤه على نفسه، وثناؤه على ربّه). وقوله : (طوبى لمن شغله عيبُه عن عيوب الناس، وويل لمن نسي عيبه وتفرغَ لعيوب الناس، فالأول علامة

السعادة ، والثـاني علامـة الشـقاوة) . وكـذلك : (صـدأُ القلـبِ بـأمرين: بالغفلـة والـذنب، وجـلاؤه بشـيئين: بالاسـتغفار والذكر). والسلام .

٢/خطبة أُرْتِجَ عليه فيها..!

- أصبحَ أصبوحةً عاطرةً، في يوم جمعةٍ غراء ، والجوُّ ربيعي قد اشتعلت مفاتنُه ، وانهلَّت مناسمه ، وقد تهيأ بخطبته كالعادة ، التي عاشها بدمه وعصبه .. فلما دخلَ بعد الثانيةِ عشرة، ويفتتح افتتاحةَ الخطبة، فإذا الاهتزازُ يغشاه ، شاهد الجامع مكتظ اكتظاظًا شديدا، فالسراة نزلت ، والجموع احتشدت...! هل الربيعُ ساقهم، أم الطرحُ وافقهم ، فخالطته الرعشة، وأخذت منه العثرة، حتى لكادَ يجفَّ منطقه، وتذبل كلماته من هولِ الموقف...!! وكأنه(أُرْتِجَ) عليه بالتخفيف، هذا المشهور المعتمد في المعاجم هو أُرْتِجَ على الخطيب. أي أغلق عليه الكلام

- وتساءل هل حضروا له، أو لطرحه، وما أحقرنا إن كانت هذه الجموعُ لتشتاق لحديثنا...! المهم تلعثم وارتبك في الأسطر الأولى ، ثم ذكر اللهَ وثبَت، فانحلت الغائلة ، وزالت الواقعة، وفتح الله بفضله، فانطلق اللسان، ورسَخت الأقدام ، وتمَّم الله بفضله ومنته..!

- وهذه مواقفُ طبيعيةٌ لمن تسنّم أعواد المنابر ، وعليه تقبلها واحتمالها، فساعات يكونُ في أوج التحضير الصارم ، ولكن تكدره مسألةٌ أو منظر، أو حركة فيحصل التلعثم ، ويذهب الجهد سُدى ، وأحيانًا تَطيب الأمورُ تطيابـًا، وإن لم يكن ذا بال وحفاوة .. وليكن صامدا صبورا ،،محتملًا كل موقفٍ

طـارئ.... كمـا قيـل : تعـودتُ درسَ المنبـر الفـذّ لـم أكن...على ثقةٍ فالحادثاتُ تدورُ...! **والله الموفق .**

٣/ رحلة دعوية..!

- في رحلة دعوية ، زانت بالحب والوئام، وصدق الاجتماع والمقصد ، رتبَ لنا الشيخ الفاضلُ فيصل آل مخالد حفظه الله ، -وهو من الدعاة الأكابر في منطقتنا - زيارةً دعوية واجتماعية "لمحافظة القنفذة" ، فانطلقنا معا ، وفي صحبتنا الأستاذ أحمد زيلعي ووالده حفظهم اللهُ والأستاذ أحمد زايد أبو بدر ، وقادنا في سيارته مشكورًا ، إلى منطقة الصوالحة وهنالك حضرنا زواج الأستاذ وحدان الصالحي وفقهُ اللهُ، وكان زواجًا عظيما حضرت فيه وفود صخمة، وأُلقيت كلماتٌ متنوعة، من جميع الرؤوسِ والأعيان ، وأصر شيخنا الكريم أن نلقي ونبارك الزواج، ونجود بالمشاركات معهم،

كما قال المتنبي : فليُسعدِ النطق إنْ لم يسعدِ الحالُ.! وأسعد العريس تلك الليلة كلاما ومنالاً...!

- وقبلها عدلَ الشيخ بنا على بعض مطاعم البحر نحو المغرب وقالَ: نتعشى هنا ما تغدينا جيدا ، فقيل له: كيف.. العشاء أمامنا.. قال : يتأخرون العادة أهل الساحل ، فنعتشى هنا أولا، ثم ندركهم متأخرين .. على حاجة في مناسبتهم ، فتعشينا فكان عشائي، ولما حضرنا مناسبة الصوالحة، اكتفينا بالبر والعسل والتحلية بعد السمك البحري..! ثم انصرفنا من عندهم الثانية عشرة والنصف تقريبًا ، مكملين الرحلة إلى القنفذة ، وهنالك الخطة الدعوية على أننا نخطب في جوامع قد تم التنسيق مع أصحابها سنة

١٤٣٤هـ تقريبًا... فوصلنا متأخرين واستقبلنا الأستاذ الفاضل منذر المهيوب، ورتب لنا السكن وفقهُ الله، فنمنا نومةً هي أحب ما تكونُ لدى المسافر المجهود ..!

- وفي الصباح كان الإفطارُ وتهيئة الجوامع، فوُجهنا ثلاثتنا إلى الجوامع الثلاثة، وعقيب الجمعة التقينا بمدير المكتب التعاوني هنالك ، وتمت المائدة السمكية الطرية عندهم ، واستمتعَ الجميع بحديثهم وجهودهم الدعوية هنالك، وتواعدنا ببعض البرامج العلمية، ثم انقضى اللقاء، وتجولنا قليلًا في المحافظة ثم عدنا منصرفين محايل ، وكان الشيخُ فيصل كبير الرفقة وحاديها وجوادها، الذي رفض مشاركتنا معه، وهو أكبرنا قدرًا ومكانة وفضلًا ، جزاه الله خيرًا.

٤/ مجالسُ القواعد الفقهية..!

- كان ولا يزالُ القضاةُ بمآثرهم ، وتعيينهم بعيدا عن مناطقهم مفيداً لهم وللآخرين ، وغالبًا ما يشعُّ ذلك المستقر لهم، شيئا من العلوم والقيم، وإدارة الدعوة والمؤسسات ، التي كانت محل رعايتهم وعنايتهم جزاهم الله خيرًا ، والدولة وفقها اللهُ، تثق فيهم وفي إشرافهم العزيز .

- وقد مرَّ على محايل رهطٌ من القضاة الأفاضل ، والذين كان لهم لمساتٌ مورقة، وبصماتٌ مؤنسة ، في العلم والتدين والدعوة والإرشاد ، وممن قابل الدكتور الفاضل عبدالرحمن الصعب، والشيخ القاضي عبدالله السحيباني ،

والشيخ عادل، والشيخ هاني الجبير، وأشباههم ، ثم مؤخراً أبناء المنطقة باتوا معنا ولنا قريبين، وفقهم الله وسددهم.

- ومن أفضلهم عمرانًا للمنطقة دروسًا ودعوةً وغيرةً، الشيخ الصعب، ومن أول وصول له افتتح درسًا في "زاد المستقنع"، وقضى وقتًا طويلًا مستمرًا فيه، والذي ساعده على ذلك بعد توفيق الله، أنه جاء ليمكث ، وأخبرني بأنه نقل مكتبته بالكامل، وكان يبحث حينها في الماجستير ، ولم تخلُ من إشراقاتٍ علمية وإفادات بحثية، وشرع في دروس وقراءات متنوعة .

- وكان لنا شرفُ صحبته ومجالسته علميا وفكريا ، وقد طلبته قراءة كتاب في القواعد الفقهية ، فقرأنا فيها كتاب" القواعد

الفقهية " لعلي بن أحمد الندوي . ثم ختمناه فشرعنا عند قدوم موسم الحج في "فتح الباري " فقرأناه بكامله ، حتى بلغنا كتابَ المحصر وجزاء الصيد. ثم اقترح الشيخُ كتابًا حنبليا في البيوع من تصانيف الشيخ البسام أظنه " نيل المآرب تهذيب عمدة الراغب " رحمه الله.

- وكانت مجالسنا بعد صلاة الفجر، تجاوزت السنتين، كل الأيام الجمعة ، وبما فيها رمضان ، وانتفع بها العبد الفقير كثيرًا . وكان الشيخُ واسع الصدر، أفدنا من علمه ومن أخبار القضاة والمشيخة عمومًا ، ولا يرد طالبًا جاء للفائدة ، وكان ينيبه كثيرا في الخطابة حتى كُلف بجامع الروضة "اليحيا ".

- والمفيدُ هنا في المجالس العلمية أنّ من استطاع نفع أخيه فلينفعه ، ولا يبخل بعلمه، أو درس ومجالسة ، وأذكر أننا في أول الطلب ، سألت بعضهم أقرأ عليه متنًا في الفقه، وآخر في الفية العراقي، فاعتذرا، فحصل له مثل الضيقة من هؤلاء الشيوخ..! لماذا..! الاعتذار ، ولا يتم احتواء حماس التلميذ المتعطش علميًا ، ولكن الناس قدرات وقدوات ، والله الموفق .

٥/ في قريةِ الهمة والعزمات..!

• وفي ثربانَ قد طبنا كثيرا ...ولا ترَبٌ هنالك أو فتورُ..! قريةٌ صغيرة ولكنها كبيرة بهممهم وحبهم المناشط والمحاضرات ، تيسرت زيارتها، ونسّق الأخ الأستاذ الفاضل عبد العزيز الشهري أبو رامي مشكورًا ، خطبةً ومحاضرة ، وصحبه في الزيارة الدعوية فواز الفاهمي وراشد الحارثي، وحسام الجنادي، جزاهم اللهُ خيرًا ، فانطلقوا تقريبًا الساعةَ العاشرة، وضلينا الطريق، وتجاوز الجامع المحدد ببضعة عشر كيلو ، والمقصدُ ثربان بُعيدَ المجاردة، ، ثم اتُصل عليهم فقال ارجعوا....! وعدنا .. ودخل الخطيب قرابة الساعة (١٢) والثلث .

- ولما انقضت الخطبة ، ذهبنا إلى مقرهم الدعوي وهو مهيأ تهيئةً طيبة، وحضرَ الشباب وبعض طلاب العلم، وأكرموهم غاية الكرام، ثم خلدنا للراحة بعد الغداء، والمكان مرتبٌ لاستضافة الدعاة ، فارتحنا إلى صلاة العصر ، ثم بعد الصلاة ذهبوا بنا إلى قمة جبل ، مطلة على واد سائل، وكانت الأجواءُ منعشةً جميلة .
- وقبل المغرب تحركنا وتجهزنا للمحاضرة المرصودة ، والتي عنونت (شابٌ نشأ في طاعة الله) . ووُضعت في جامع كبير، قالوا أسهم الشيخ سعد البريك في إنشائه ، فشكر الله جهده، وباركَ سعيه وسعيهم ...!

- والـذي ميـز أهـلَ ثربـان تعـاونُ الشـباب في العمليـة الدعويـة، وفيهم عسكر متقاعدون ، بحيث تحسّ أنهـم جسدٌ واحـد ، خدمـةً وحبًـا وتفانيـا ، وكنـت أرى لهـم نشـاطات مختلفـة، واستضـافات متعـددة رغـمَ محدودية الظـروف والإمكانـات القليلة .. ولكن بالهمم المشتعلة ، والعزمات المتقدة، يتفجرُ الصخر ماءً، وتنبت الزروع اليانعة..! وبعد مغـادرتهم بـزمن، لا زلنـا نشـاهد ونسـمع ببـرامجهم المتنوعـة في حفـظ الـنشء والشباب ، وتعليم الناس الخير، كما هي توجهـاتُ المعنيـين بالدعوة في بلادنا المباركة ، نفع اللهُ بهم ، وسدد خطاهم .

٦/ الدعوةُ والثقافة..!

• إذا امتزجت الدعوةُ بالثقافة أفرزا خليطًا جماليًا نادرا ، يضفي صفاءً ومتانةً في الخطاب البياني ، وفي الحياة الاجتماعية .. وكان هو ينتهجُ طريقة الدعاة المثقفين ، الذين يبرزون الشعر والفكر النقدي ، واللغويات الجميلة ، والمصادر الأدبية المشهورة في مواعظه الدعوية، ولا يرى بينهما تناقضًا ، بل يعدُّ ذلك تجديدا في الطرح الدعوي ، ويرى فيه تقويةً وتحسينًا للمطروح، وإعلانًا للمتربصين بأنَ طلاب العلم ليسوا دراويش ، ولذلك تسمعُ لهم علمًا وفكرًا وشعرًا وإحصاء ..!

- وتـم تطبيـقُ ذلـك في مواقـف عديـدة ، فعلـى سـبيل المثـال في درس جـامع الفهـد سـنة ١٤٢٣هـ، وكـان مـن فـواتح العـالم الـدعوي ، أُعلنـت محاضـرةٌ أزمنـة الرخـاء الـدعوي بعنـوان: (من آفات المثقفين) وكان لها جمهورها . وقبلها : (صفحة للحوار) وشـبهها..! وتقبلهـا النـاس بقبـول حسـن، وملقيهـا أول المستفيدين منها. وكان كلما أتت مناسبة بقضـية مقبولـة الطرح، تبادروا إليها هو وجمهرة من طلاب العلم آنذاك ..!
- وكان بعضُ خصوم الدعوة يعتقدون ضعف المشيخة فكريًا وأدبيًا عن طرح هذه الموضـوعات ، فكـان هـو وأشـباهه مـن الـدعاة، يشـتغلون في تفعيـل هـذا الجانـب ، وكـذلك للـرد والإبانة والتصحيح .. ولهم مشـاركاتهم في اللجـان الثقافيـة ،

ودعيَ لإقامة عدة ندوات في هذا السياق الثقافي، وكما ذكر د .

الغـذامي سـابقًا ، أن جمهـورهم في الثمانينيـات كـان الشـباب

المتدين، كثروهم وناقشوهم، وأحدثوا ضـجيجا ثقافيًا تلـك

المدة ، لم يخلُ من فوائد ..!

- فدعوى أن المشيخةَ الدعويـة لا علاقـةَ لهـم بـالأدب والثقافة دعوى عريـةُ البرهـان ، ويرددهـا بعـض المفلسـين في كوكـب الثقافـة والشـعر، ويـرومُ احتكـار كـل ذلـك، وقـد بانـت سـجالاتهم ، وانكشـفت منـاظراتهم ، حيـث يفـرون مـن المواجهـة، ويكتفـون بالمقـال الصـحفي، أو الجعجعـة مـن بعيد.!

- وأما كتاباته المقالية في فنون الثقافة فكثيرةٌ جدا بحمد الله، وقد تجاوزت قيودَ المحاضرة الدعوية ، لأنها دعوة صامتةٌ ، ونصيحة أدبية توشحت بالسكون ، ويمارسها بشوق واستبشار ، وقد كان يكتبُ في عدة صحف الكترونية وفي مواقع مشهورة أشهرها " صيد الفوائد " وجُمعت بعضها في كتيبات ، والله ولي التوفيق .

٧/ اختراق التوتر..!

• اعتراه شيءٌ من التوتر سنةً من السنين ، فلا يصعدُ منبرا إلا توتر ، ولا رقَى كلمةً إلا قلق وكاد ينهار، فلما جاءت "واقعة الرسوم الدنماركية " ، ووقع الإجماعُ الشعبي الإسلامي بالخطبة فيها، انبرى بخُطبةٍ شديدة ملتهبة، مكثت الأولى قرابةَ أربعين دقيقة، مرتجلة كعادته تلك الفترة .. وما شعر بنفسه، وحدثه بعض زملائه بالمدة بعد ذلك...! وعلَته الحرقةُ والحماس، ولعلها تكفِّر تقصيرًا حصل، أو تزيل سقما أضنى ..! والمهم ولج في الخطبة ولوجًا حماسيًا ، كصولة الأسد الضارية ، فلقد كانت الأمة غضبى من جراء التطاول الأوربي الصليبي، بدعوى حرية التعبير .

- وتحولت المنابر الدعوية في غالب العالم الاسلامي إلى منصات دفاع عن الجَناب النبوي ، واهتزت المعمورة ، وتحركت بعضُ الدول واستدعت السفير، وذلك سنة ١٤٢٦هـ ..وبعضُهم قرر طرده ليمتصَّ غضب الجماهير.!

- ولما انقضت الخطبةُ والصلاة عاد إليه التوتر والقلق من جديد ، لكنه خاضَ معركةً شرسة في تجاوز المرض والانتصار عليه، وما فتئ داعيا ربَّه في تخفيفه وإزالته، حتى يمارس دعوته وحياته باطمئنان ، والحمدُ للهِ على كل حال..!

- وقد عوفي من أكثره، واستعان بالله ، وباتَ صعوده ميسورًا ، خلاف السابق! وفي الخطبة الثانية عرّج على بعض قضايا

العرب والمسلمين وتحملُ بشائر لهذه الأمة ، فكانـت شـكلًا

من البلسم ، الذي خفّف الجراح، وواسى وصبر، **والحمـدُ للهِ**

على ألطافه...!

٨/ انزلوا إلى الناس...!

- كان بعضُ زملائنا ينادي في طلبة العلم: انزلوا في الناس، شاركوا في الميدان، التصقوا بهم... **فقلتُ له: نحن في الميدان .. ومعهم.. ولسنا بعداء!** فها هي الدروس فعالة، وتُسمع أسئلتُهم ومشكلاتهم، ونحاول نفعهم ومساعدتهم، فالعلمُ له رجالاته، والغوثُ له أقطابه من الفضلاء ...!
- لكننا فهمتُ بعد مدة، أنه يقصد الدنوَّ من الضعفاء وأصحاب المشكلات الاجتماعية، فلم يزل يلح عليها ومتابعتها، وحل مشكلات حامليها، -وهو الأستاذ محمد الهاشمي - رحمه الله، صديق الطفولة، حتى فهمنا مراده ..! وقد تكلف دعوتي ليلة في قصر ضيافة المطل القديم للبلدية،

وهنالك وبالتنسيق مع الشؤون الاجتماعية ، والإرشاد الطلابي، تمرُّ عليهم مشكلات أسرية محزنة، فحرضني على الحضور والمشاركة ..! وجاء تلك الليلة، وشاهدنا بعض الأسر المنهكة اجتماعيا ، وكانت بداية لتفهم ما يروم الأخ الكريم، ورتب لنا بعد ذلك كلمات في المدارس ولقاء في السجن ..!

- فلما فطنَ العبد الفقير لمراد الأخ محمد ، وأنه يقصد ما وراء المحاضرات الدعوية ، والاندماج الاجتماعي الشديد تجاه الفقراء والأرامل وذوي الاحتياجات الخاصة ، بما فيها مشكلات المخدرات ..! وهذا مسار دعوي واجتماعي ليس كل الناس يُحسنه، وله رجالاته وفرسانه الجيدون كما تقدم

في دعوة المساجين ...! والأستاذ الهاشمي يحسنُ الظن في طلاب العلم ، وأنهم أقدرُ على كل شيء، وما علَم أن الدعوةَ اختصاصات وتفنن، فثمة وعاظ وعلماء، واجتماعيون رحماء، وأرباب غوث ونجدة، وخطباء وأئمة ، ورحماء في العمل الخيري وآخرون في العمل التطوعي ، وهلم جرا، ولا يصلح اجتماعُها كلها في شخص واحد لكثرة التبعات ، والحاجة الماسة للتفرغ..!

- ولا ارتيابَ أنه بابٌ مُحتاج إليه ، ويدعو ديننا وواقعنا إلى الاهتمام به ، لا سيما وفي الناس ذوو حاجات وملمات ، والإسلام دين الرحمة ، وقصص النبي عليه الصلاة والسلام في ذلك مشتهرة ، وقصته مع المرأة المصروعة ذائعة ، وثمة

حديث آخر يصلحُ في ذوي الاحتياجات الخاصة .. قال أنس رضي الله عنه كما في صحيح مسلم رحمه الله ، إن امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً. فَقَالَ : " يَا أُمَّ فُلَانٍ، انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ ". فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا. وقد تنبهت وزاراتنا المعنية بهذه المشكلات الاجتماعية ، وقامت على معالجتها مشكورةً، بالبرامج المخصصة في هذا السياق ، واللهُ الموفق .

٩/ حوافز من الواقع..!

- كنا ونحن أطفال ، نتعجبُ من جلَد الفنانين والممثلين في الأداء الفني المزعوم ..! وحرصهم على إمتاع الناس أو إضحاكهم.. مما حفزَ النفسَ على الدعوة في أول الطريق، وهيجها ذلك النشاط الغنائي ، فقد كانت الساحة تزخر بذلك، وألحظُ شبابًا صغارا يسمون فنانين ، ويغنون بكل شجاعة واستيثاق...! وذكروا فنانًا سوريًا غنى لمدة عشر ساعات متواصلات في فنزويلا! بينما طلابُ العلم يترددون ويتلعثمون، ويتهيبون كلمةً أو منبرا ، يطل بها على الجموعِ دقائق معدودات ... !

- وكان هذا الشعور غالبا على الحركة الدعوية آنذاك ، فسمعتُ بعض الدعاة موبخا، وكانت المنطقة في حاجة شديدة: كيف لا تقومون بالدعوة، والمغني يمكثُ ساعاتٍ صارخا ومهرجًا.. وأنتم تملكون أغلا كلام، وأطيب حديث...! ووقعت منه هذه الكلمات موقعًا ، فجعلَ يؤنبُ نفسه بذلك..!

- فكان هذا من بواعث الانتصار على النفس، والمبادرة الدعوية ، فباتَ يشارك باهتمام ، ولا يرد محاضرة أو دعوةً تعرض عليه ..! فلماذا يتفوق المغنون على الدعاة والمستقيمين .. ولم الخوفُ من مجابهة الجمهور ..!

- ثـم بعـد خـوض الغمـار الـدعوي ، تبـين لـه الفـرق بـين جلَـد المغني وخوف المتدين ، وهو أنّ المغني يستمتعُ بـذلك بعـد اسـتعداده الفنـي ، بخـلاف بعـض طـلاب العلـم يضـعفُ استعداده ولا يعيش معنى الاستمتاع الـدعوي ، الـذي يجعلـه يُعطـي بـلا حسـبانٍ، وينسـاب بـلا متاعـب، معتمـدا علـى الله، مخلصًا في قضيته..! وكلمـا صـدق الدعايـة وفقـه الله، ورزقـه منحة التلذذ الدعوي ، والنمير الوعظي ، والله الموفق .

١٠/ أول مرة أفهمها..!

- في بعضِ كلماتِ المساجد المبهجة ، والعظاتِ المختصرة الجميلة على قلب المتحدث وقلوب الحاضرين ومشاغلهم، وهي من المحبوبات الدعوية... علّق مرةً على بعض أساتذته في صلاة العشاء ..،لما تلا سورةَ الشمس...! ففسَّرَ سورةَ الشمس ومعاني التزكية والتدسية للنفس البشرية (قد أفلحَ منْ زكاها ، وقد خاب من دساها) ... وقال كلاما طيبًا عن قصة ثمود.. وكيف دخلت في السورة (كذبت ثمودُ بطغواها) أي بسبب طغيانها ، وأنها مثال للقوم الذين ضيعوا تزكية النفس وآثروا الهوى والضلال .

- فقد بعثَ الله لثمود نبيهم صالحا، فكذبوه، واستحبوا العمى على الهدى، وبالغوا في العصيان، وتآمروا على صالح وآيته وهي الناقة ، وكانوا قالوا له : لا نؤمن حتى تدعو ربَّك يخرج لنا من هذه الصخرة الصماء، ناقةً عشراء ، فقَالَ: وتؤمنون ، فقالوا : نؤمن..! فلما عاينوها آمنوا قليلا ، ثم تضجروا منها ، إذ نهض أكثر القبيلة شقاوة لعقر الناقة، فقال لهم رسول الله صالح عليه السلام : احذروا أن تمسوا الناقة بسوء؛ فإنها آية أرسلها الله إليكم، تدلُّ على صدق نبيِّكم، واحذروا أن تعتدوا على سقيها، فإن لها شِرْبَ يوم ولكم شِرْبُ يوم معلوم.
- فشقَّ عليهم ذلك، فكذبوه فيما وتآمروا عليها فعقروها ،فأنزل عليهم ربهم العقوبة بجُرمهم، فأخذتهم الرجفة

والصـيحة التـي قطعـت نيـاط قلـوبهم، فأصـبحوا صـرعى في ديـارهم جـاثمين ، والله المسـتعان . فأتـاه رجـلٌ عـامي بعـد الصلاة ، وقال وقد استأنس بالقصة المنذرة: أول مرة أفهمهـا ، يقصد طغيان ثمود، وانبعاث أشقاهم وأفجرهم .. واسـتفادَ من ذلك فنّ تقريب آيات القـرآن وقصصـه بطريقة ميسـورة ، وبدون تعقيد وتفصيل وقد كتبَ في ذلك كتابات متنوعة، مـن آخرهـا (قـرأ الإمـامُ) ، وتعلـم أن جمـاهيرَ النـاس يهـوون الكلمـات المختصـرة، والتـي لا تتجـاوز العشـر الـدقائق ، خلافًـا للمحاضـرات فلهـا جمهورهـا المخصـوص، والله الموفق .

١١/ وتصبّبَ العرق..!

- في موعـدٍ منبـريٍ قـديم، وخطبـة أُسـندت لأسـتاذنا الشـيخ الفاضل عبـدالله فلقي حفظه الله، فـدفعها كعادتـه القديمـة في تنشيط الناشئة المتدينة، وتربيتهم على الخطابة ، فجاءني يـوم خميس وذكـر الخطبـة واحتيـاج القريـة المقصـودة بالزيـارة، وضـرورة المشـاركة ، ولديـه أسـاليب الإقنـاع التـي تحملـك علـى التسـليم.. وكانـت المنطقـة تتجـاوز الأربعـين كيلـو، فجاءني الأستاذ يحي عبود حفظه الله، وانطلقنا للموضع...!
- وحينما وصلنا .. وحضرت السـاعة ١٢ ظهـرًا، صـعدنا على المنبر، المنبت الصلة بالناس ، حيث كـان مرتفعـا بطريقـة لا تشـاهد النـاس وأنـت جـالس، وشبه مخنـوق أو معـزول عـن

المسجد بطريقة جعلتك كأنك منقطع الآصرة بينك وبين المستمعين ، والأجواء حارة، والصيف هائج ، حتى تصببَ العرق تصببا لم يعهد من قبل، وامتلأ الوجه ، وغرقت الرقبة، وأُثخنت الملابس، حتى ضاق الموقف.. وود لو لم يحضر ذلك اليوم..!!

- ولو سُئِلَ عن أثقل موقف في حياته الدعوية ، لكانت تلك الزَّورة ، وذلك الموقف ، ووقعة العرق الصبيب..! وقد تضجر من عرقٍ محدود في زمن محدود، فكيفَ بالعرقِ الثقيل أو الملجم يوم القيامة ..!
- تسبب العرق المهالُ في ضياع الموضوع ، وضعف الأداء ، حيث شغل عنْ التركيز ، وأذهب حالةَ التأهب المنبري ، التي

ينبغي لكل خطيبٍ التحلي بها، ووافق ذلك صغر السن وقلة الخبرة، وغرابة المكان ..! واستفاد من ذلك ، أن لا تجيبَ كل دعوة، وأنّ لا تحل محلَّ فضلاء ، ألقوا التبعةَ على غيرهم ، وهم أولى وأجدى.. والسلام .

١٢/ شخصية فاعلة..!

- من الشخصيات الفاعلة التي زارت المنطقة ونفع الله بها نفعًا فاق الحدود ، الشيخ القاضي المفضال عبدالله السحيبان حفظه اللهُ ، وجاء محايل والمنطقة مجدبة في انتشار المساجد ، وتُقامُ الأحياء بلا مساجد ، فضلًا عن الجوامع المعدودة ، والمورثة للزحام...! حتى وصل ففطِن لهذه القضية، وأن انتظارَ فاعل خير يقوم بالإنشاء حياةٌ طويلة، فأخذَ زمامَ المبادرة وتعاونت معه البلدية مشكورة ، وحول الأراضي العراء إلى مساجد غطّت الأحياء ، وانتفعَ الناس بها، وكان تاجها ودرتها "جامع الملك فهد رحمه الله في حي الضرس" ، الذي آل إليه بعد القاضي الصالح الصعب..!

وكانت همته مشتعلةً في هذا السياق، ويذهب بنفسه للمتابعة، ورأيته بنفسي يزور المساجد الجديدة ، ويتابع حركة البناء في شدة الحر ، ويمر البلدية متابعا ومدققا، مما يدل على طموح عال، ومحبة للخير... كما قيل:

لَوْلا العُلى لم تجُبْ بي ما أجوبُ بهَا ** وَجْنَاءُ حَرْفٌ وَلا جَرْداءُ قَيْدودُ

- وتعرف عليه مؤخرا، وكان سببًا في تعيينه بجامع اليحيا ، وتكليفه بصلاة العيد ، حيث تزاورا، ويذكر أهداه "المغني طبعة الشيخ التركي" ، وهو ودّعه بكتاب " فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر" ، لما غادر المنطقة .
- ولم يكن صاحبكم مقدرا لصنعة الخطابة ، ولا يحب التزامها ولكن يشارك لمامًا أحيانًا، فنبهه إلى احتياج المنطقة

الشديد، وضرورة انبعاث طلاب العلم لذلك ، فتم تكليفه بالجامع بعد رحيل الشيخ حفظه الله، ومكث فيه قرابة ثلاث سنين، كانت سببًا في تحول النظرة السطحية تجاه منبر الجمعة، وتعلم منها الاستعداد الأسبوعي للخطبة ، وفنون الصياغة والإنشاء .. وكانت فترة التكليف من سنة ١٤١٩هـ إلى سنة ١٤٢٣ تخللها انقطاعات.. وقد نشرت تلك الخطب تحت عنوان (أزاهير الروضة).. تقبل الله من الجميع .. والله الموفق .

- ولعل من دروس تلك المرحلة، أن الناس مواهب وطاقات فالشيخ لم يتفرغ لإنشاء الدروس مع قدرته على ذلك ، ولكنه اشتغل في الجانب الذي فُتح عليه فيه وتوفرت له

مقوماته ، وهو إنشاء المساجد ، وتيسرت له السيولة النقدية ، وحُسن العلائق المذللة لذلك الباب الخيري، فصنع فيه الأعاجيب ، فأذكر الضرس لوحده خرجَ ببضعةَ عشر مسجدًا ، ولو لم يكن له سوى "جامع الفهد وثمراته اليانعة " كإبراز طلبة العلم وتصديرهم، لكفاه شرفًا وفخرا .... والسلام .

١٣/ المحاضرةُ المكررة..!

- من أعجبِ الموضوعات التي تكررت معه، وجُمعت جمعا طيبًا فريدًا ، محاضرة " قضّ نهارك مع ابن المبارك " وناسب نعتها بعنوان كتاب الإمام الذهبي رحمه الله المفقود، وهي في الأصل وقفات من حياة الإمام عبدالله بن المبارك رحمه الله ، وقد جُمعت من عشرات المراجع ، والكتب المختصة في سيرته.. ولعظمة سيرته تكررت وطلبها بعض الإخوة ، ولا يعلم أنه انشد لسيرة وتأثر بها كتأثره بأحاديث ذلك الإمام العجيب ...!

إذا سار عبدُ الله من مروَ ليلةً ** فقد سار منها نورُها وجمالُها

إذا ذُكر الأحبارُ في كل بلدةٍ ** فهم أنجمٌ فيها وأنت هلالها

- وقد كانت من "فـواتح درس الإثنين الاسـبوعي " في جامع الفهد سنة ١٤٢٣هـ. ثم أعيدت في أبها في جامع الوابل عند تلميذ الأمس وزميل اليوم الشيخ القاضي الفاضل عبد الإلـه القحطـاني، حفظـه الله، وحضـرها جمهـرةٌ طيبـة مـن كليـة الشـريعة وأصـول الـدين ..! ثـم أعيـدت في خمـيس مطيـر ، فخمـيس البحـر ، فهـي تكـررت نحـو أربـع مـرات وألقيـت مختصرة لطولها ، وسوف تعاد إذا ما تيسر قريبًا..!
- والسبب: جامعيةُ السيرة وتنوعها ، وبركة ما فيها من الصـدق والإخـلاص ، فـلا يوجـد سـيرةٌ في الإسـلام بعـد رسـول الله والصحابة كسيرة ابن المبـارك وابـن تيميـة رحمهـم الله تـأثيراً وبركة ، وهم أعظمُ اثنين قرأتُ لهما وتـأثرت بمـا لـديهم مـن

خيور وفضائل ..!ولذلك وُصفَ من مترجميه ومعاصريه بأعجبِ الكلم وأطيبِ النظم .. قال في السير: الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه وأمير الأتقياء في وقته أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم التركي ثم المروزي الحافظ الغازي أحد الأعلام. عن الحسن بن عيسى، قال: اجتمع جماعة من أصحاب ابن المبارك مثل الفضل بن موسى، ومخلد بن حسين، ومحمد بن النضر فقالوا : تعالوا نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا : العلم، والفقه، والأدب، والنحو، واللغة، والزهد، والفصاحة، والشعر، وقيام الليل، والعبادة، والحج، والغزو، والشجاعة، والفروسية، والقوة،

وترك الكلام فيما لا يعنيه، والإنصاف، وقلة الخلاف على أصحابه.

- وقد سُجلت في بعض المواطن ولعل الله ييسر نشرها في كتيب صغير قريبًا ، ليتم النفع ، ويحصل الأجر ، ويطيب العلم، فإنها اكتنزت فوائد باهرة، وجواهر نادرة ، ومعانيَ آسرة..! وهي فرصة يانعة لا سيما أزمنة الفراغ، والاحتفاظ بالأرشيف الدعوي الذي نبه عليه كثيرا ، ولعلنا وإخوتنا الدعاة ، في ساعات الفراغ نُعيد النظر في كثير مما أُلقي وتُحُدِّث به ، فنحرر بعضه ونقوم على تنقيحه ونشره .. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

١٤/اللقاء الفخم..!

- كانت اللقاءاتُ الفكرية الراقية، تستهوي كلَّ محبي الثقافة والفكر ، وديوانية آصال ، كانت تخبئ شيئا من ذلك.. ولكنّ حضورها محدود، إذ الثقافة مغضوبٌ عليها في ساعات ، ويضيق منها بعض المتدينين . وفي سنة من السنين الخصيبة.. وقبل شهرٍ من موعده، يطرقُ الجوال الأستاذ محمد عسيري حفظه الله من مكتب الدعوة في قنا... ويقول : أسسنا ديوانية لطلاب الدراسات العليا ، ونحب نفتتح بكم بعنوان فلسفي وما شاكله.. بحيث يستفيد الحضور لأنهم نخبة ، ويهمهم الموضوعات المتينة ... وكان في أيامها يجمع موضوع (أسس التفكير النقدي في الإسلام) ويعده للمشاركة في لقاء

كلية الشريعة العلمي في أبها ..! فاقتُرح عليه فوافق ، وعلم أن المكتـوب فيـه قليـل، وطرحـه نـادر ، ويخضـع للاسـتقراء الذاتي..!

- وفعلًا حضر الموعد بعد الشهر، ولم يؤكـدوه ، ثـم اتصـل الشـيخُ علـيّ المطـري ريـئس المكتـب في ليلتـه يؤكـد ، فانطلقنـا علـى سـرعتنا، ويصـحبه الإخـوة أحمـد زيلعـي وحسـين وطـارق الفلقيـان تقريبًا ، وصـلينا العشـاء معهـم، وطُلبـت كلمـةٌ لجـامعهم الكبيـر المـبهج، فتحـدث عـن (الدعاء وفضله)، ثم ذهبنا للمجلس الملاصق ، وفيه تنعقدُ الديوانيـة فحضـر نخبـة مـن الأشـياخ والأسـاتذة مـنهم الأستاذ موسى حمزة وعبـد الـرحمن الثوبـاني وآخـرون ،

بوركت جهودهم ، فشرع في الموضوع ومُنحت له الساعة ولم ينقض، ثم فُتِحت الأسئلة بعد ذلك، ومداخلات من الفضلاء ، والتي زادت الموضوع أهمية وإثراءً .

- وتعظمُ فخامةُ الموضوع من كونه لقاءً فكريا عميقًا ، تشح الدعوات في أمثاله ، وكان ينشرح لمثلها..! والغالب في منطقتنا الدعوات الوعظية والتربوية ..! وأما تلك فربما نوقش كثير منها في الديوانية الأسبوعية في آصال، لأنّ الحضورَ نخبوي يتعمدُ طرقها والهيام بها ..!

- وقد حاول في محايل تأسيس نظيرها ومن خلال طلاب الدراسات العليا، وكلفنا شابا فاضلًا، ولكنه تقاعس بعد ذلك وانشغل ، وفشل المشروع ..! لأن استقصادَ طلاب

المراتب العالية بالأنشطة الفكرية ، يثري الأفكار ، وينضج العقول ، ويزيدُ من نهضتها وتناميها علميًا وتربويا ، ولا تتولد العقول الحضارية المستنيرة إلا بمثل تلك المناشط المتينة ..! والسلام.

١٥/ يزيدُ بكثرة الإنفاق منه..!

- كان يشاهدُ مشاهيرَ الدعاة قبل سنوات، وانتشارهم العابر للقارات ، محليًا وإقليميًا ودوليا ، علاوةً على ما لديهم من كتابات وارتباطات، ويتعجبُ من احتواء ذلك كله، والبراعة في التجديد والطروحات المختلفة .. ويقول: كيف حضّروا لها وجمعوا من دون تكرار وملالة ... فلما انضوى تحت الركاب الدعوي، تبين له أنّ العطاء الدعوي يتضاعف مع الوقت ، والسخاء العلمي يتباركُ إذا صحت النية ، وكانت الأهبة عالية ، إذ يفتح الله فتوحاتٍ لا نظير لها ، ويتنامى الوقت، وتستعدُ النفس للمزيد من العطاء والمبذولات الدعوية ..!

• والمهم أن تُلتزم القراءة ، ولا يعاف الاطلاع ، ويسألُ المولى المزيد من فضله ، فإنّ النعم حينها تتساقط ، والغيوث تنهمر، والمباهج تتكاثر... كما قال أبو إسحاقَ الالبيري رحمه الله في قصيدته المشهورة :

هو العضبُ المهندُ ليس ينبو ** تصيبُ به مَقاتلَ من أردتا

وكنزٌ لا تخاف عليه لصًا ** خفيفُ الحمل يوجد حيث كنتا

يزيدُ بكثرة الإنفاق منه ** وينقصُ إن به كفا شددتا

______

فلو قد ذقتَ من حلواه طعما ** لآثرتَ التعلم واجتهدتا

ولم يُشغلك عنه هوى مطاعٌ ** ولا دنيا بزخرفها فُتنتا

فقوتُ الروح أرواحً المعاني ** وليس بأن طعمتَ ولا شربتا

فواظبــه وخــذ بالجــد فيــه ** فــإن أعطاكَــه اللهُ انتفعتــا

____

- وكـلُّ مواظبـة دعويـة ثريـة، تنـتج الأعاجيـب ، وتصـنع المسـتحيلات ، وترتقـي بـالروح رقيًـا ذهبيًـا ، وتصـعد بهـا صعود البناة أولي الهمة والشمم ، وذلـك فضـل الله يؤتيـه مـن يشاء ، والله واسع عليم .
- وتخوفـه مـن خـوض الغمـار الـدعوي والمطالـب الضـخمة والمزدحمة ، تلاشى بعد وعي الطريق، وفقهِ المعضلة ، وأن العلاجَ ميسور، والتوفيق واقعٌ ، إذا حسُـنَ المقصـد ، وبرقـت الآلـة ، وتحملـت الـنفسُ الأمـور بقـوة...(خـذوا مـا آتينـاكم بقوة) سورة البقرة والأعراف. بل يصبح العطاء يفـرزُ زهـورًا

دعوية ، وملحًا إصلاحية ، وعناقيد فكرية ، وتقوم اليراعة المدققة بتقييدها تحسبًا لكل ظرف ومناسبة، وكان في بعضها من الندرة والجمال الفائق ، ما يحمل على البهجة وسيلان دموع الفرح، وملازمة الطريق ، **والحمد لله أولًا وآخراً .**

١٦/ المحاضرةُ المنظَّمَة..!

- والتي حظِيتْ بحُسن الاستعداد وجمالِ التنسيق، وروعة التنظيم، بحيث كُتبت وسُطرت، ورُوجعت وفُهمت..! فإذا ما جاء موعدُها، فقد تجمعت فضائلُها ، واستكملت دواعي حُسنها ونجاحها.. وهذا من الجودةِ والإتقان العلمي المنشود ، وقد قال صلّى اللهُ عليه وسلم كما في شعب الإيمان للبيهقي: (إنّ الله يحبُّ إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه) . وهو عامل من عوامل نجاح الدعوة إذا صدقت ونصحت، والله من وراء القصد...!

- ومن ثم تراجعَ مناشطُ كثيرين بسببِ ضعف التنسيق ، والتقصير في الإعداد والبناء، وأولاها قلةُ القراءة والاعتماد

على إنشائيات قديمة، وتجاهل عقول الناس وأفهامهم ...!

والحمدُ للهِ أن ثمة أقوامًا لا تزال هذه التقدمةُ الأساسية عميقةً

في نفوسهم ، وأصيلةً في بنيانهم وتفكيرهم ، إذ لا نجاح باهر،

إلا وتسبقه مقدمةٌ فاصلة ، والتزام مؤسس، ومن خلاله تم

البلوغ والفتح والانتصار .

- ولذا فهو يؤسرُ بالمتحدث الذي يشعُّ النظام في كلامه، ويزهرُ التنسيق في عناصره ، بحيث تلامسُ الاستعدادَ المرتب ، والإلقاءَ الفائق ، والجملَ المصفوفة، ولا يلقي الكلام على عواهنه ..! ومن طريقته : الجمع الشامل، ثم الكتابة المعنصرة، فالاختيار المناسب، فالملح المعينة، والتصنيفات المصاحبة ... ونتج عن ذلك بحمد الله القدرة

على تحويل كثير منها إلى كتيبات جيدة ، لا ينقصها سوى المزيد من التنقيح والصقل الكتابي والبياني، ويعتقد أن المحاضر الجيد ، هو الذي يجعل من المحاضرة والكلمة كتابًا جيدًا ، مشعًا بالورد والخزامى ، وصالحا للنشر والرواج.. والله ولي التوفيق .

١٧/ محاضرة تنشيء درسًا..!

- في رحابِ الإخوة الكرام في محافظ المجاردة وعند الشيخ الفاضل محمد بن عاطف الزيلعي حفظه الله، تُعلنُ محاضرة بعنوان (فنادى في الظلمات) في جامع عقبة بن نافع.. وطدت لعلاقةٍ متينة، وزيارة ثرية تعرفنا على المشايخ هنالك، وزرنا مكتبهم الدعوي ، وطالعنا مناشطَ مبهجة، وكانت سببًا في "دورة نسائية " شرح فيها لمحات من الأربعين النووية..! ورتب الشيخُ كذلك درسا في صحيح البخاري وكان شهريًا، وصحبنا الإخوة أحمد الزيلعي وشباب بني هلال عبد الرحمن ويوسف وعبد القادر جزاهم الله خيرا..!

- وأكرمنا الإخوةُ الفضلاء بأخلاقهم وأدبهم ، وأصروا على استمرارية الدرس، وبالفعل نُسِّق ووفق عليه، وانطلقنا في صحيح البخاري قرابةَ أشهر عديدة، وكان اللقاء شهريا... ثم حصلت معكراتٌ جديدة تأخر لأجلها الدرس، ولكنها ذكرى طيبة، ناسب المقامُ تقييدها عرفانا لهم بالفضل، وتقديرا لجهودهم في المكتب التعاوني ، ويذكر أنه لبضع عشرة سنة لم يزر مجاردة إلا ملقيًا شعريًا وكانت سنةَ ١٤٢٠هـ تقريبًا.. ، ورتب لها أخونا الدكتور محمد الشغيبي، ثم لم يتيسر اللقاء بهم إلا في سنة ١٤٣٨هـ.
- ولوحظ حرصُ الإخوة في المكتب على تنوع المناشط وخدمة كل فئات المجتمع ، وقد أتيح لهم في بلادنا المباركة

ومـن خـلال الـوزارة مشـكورة اسـتهداف فئـات مختلفـة في الدعوة ، واستثمرت استثمارا نافعًـا ، تكللـت بتفنن دعـوي ، ومن خلال عزمات متقدة، وهمم متسارعة ، حفـظ الله بلادنـا وأدامَ عليها الأمن والأمان ..!

- واستفادَ من تلك التجربة محاولة تقريب كتب التراث بطريقة تربوية وعظية، وتبسيطها بسطا مورقـًا مسـهلًا، لأنَّ الـدرس عام وليس نخبويا ، وصناعة ثغرات تربوية في الكيـان العلمـي الصرف، واسـتغلالها تنبيهـا وتوجيهـا، كشـروح الصـحيحين والـزاد وتفسـير ابـن كثيـر وجـلّ كُتـب ابـن القـيم رحمـه الله ، تشـرح ولكـنْ بطريقـة ميسـورة، غيـر معقـدة ولا ممنوعـة، تتخللها اللطائف والحكم والأشعار .. والسلام .

١٨/كلمات بلا استعداد..!

- من بركاتِ بلادنا حفظها الله محبةُ أهلها للدعاة ومواعظ طلاب العلم، والدين أساس في تكويننا الاجتماعي والثقافي ، وعلى هذا الأساس قامت ودامت، ولذلك لا يشاهد الناسُ طلابَ العلم في مسجد، إلا سالوهم الوعظَ والتوجيه حبا وتنشيطا للناس ، وحفزاً للهمم والعزائم..!

- وفي كلمة من الكلمات تُستدعى سريعًا ، فلا تملك إلا آيات الإمام تنطلق من خلالها ، وأحيانا قراءة العصر، أو أقرب فائدة تعلمتها واستفدتها ، فتأخذها وتغوص في معانيها ، فيفتح اللهُ فينساب معك الكلام انسيابا ، وتبزغ

معك ألفاظ وقصص وحكم لا تدري، ولا يمكن تفسيرها إلا عبر الفضلِ الإلهي والفتح الرباني .

- ومرةً كلمة عن موقف من السيرة النبوية ، وقصة الخندق في لمحات منها ، ولا تدري كيف تفجرت معك المعاني الإيمانية ، والإلهامات التربوية ، فشعت في الحضور إشعاعًا بهيجًا ، ولامس رحيقها قلب المتحدث وأسماع الحاضرين، وكان لها بريقها الخاص ، ورونقها المذهب الفاخر!

- والعجيبُ تبقى ثمراتها في النفس أياما بل أعوامًا ، تستنير بقبسها ، وتتأمل حلواها ، وتعيش على ذكراها وأطيافها.! ومساجد الطرقات كانت أيضا محلًا للإسهام الدعوي والنفع الاجتماعي ، ويتلقف الناس ذلك بقبول حسن.! وإلى هذه

اللحظات لا يزال الناس في مودة ووئام مع الـدعاة ، ويرفّـون لكلماتهم وأحاديثهم ، برغم –بعض الحمـلات المشـبوهة – ولكن الأغلبية الكاثرة متدينة ذات وعيٍ وقرار مكـين، بفضـلِ منهاج المملكـة ودور قيادتهـا وتوجههـا الإسـلامي المبـارك، حفظها الله قيادةً وشعبا ، وأدامَ عزها وخيراتهـا ، والله الموفـق .

١٩/ الدعاة والأمن الفكري..!

- تفاعلَ الدعاة بحمد الله مع برامج الأمن الفكري المختلفة في بلادنا الحبيبة ، من حين بزوغ الدعوة وهيمنتها على الواقع الاجتماعي ، وظهور حركات الغلو والتطرف ، فشاركوا وبينوا وتصدوا، وغصت البرامج الدعوية بكل الطروحات الفكرية ، المحافظة على فكر البلاد وعقيدتها ووحدتها وأمنها..!

- وكان للعبد الفقير مشاركات متنوعة من خلال رئاسة لجنة التنمية الاجتماعية ، ومن خلال العمل الجامعي ، وكذلك النشاط الدعوي خطابة وإلقاءً، فزار المدارس ، وأُلقيت المحاضرات الفكرية في المساجد داخل المنطقة وخارجها ،

والتي تجسد للوسطية الإسلامية ، وتدين فكر الخوارج والقاعدة وداعش، وكل الحركات المتطرفة . وبحمد الله تجاوزت بلادنا هذه المحن وانتصرت الحكمة والعلم على الجهل والغلو، قال تعالى : **(وكذلك جعلناكم أمةً وسطًا لتكونوا شهداء على الناس) سورة البقرة .**

- وسرعان ما عاد الشباب لصوت الحكمة والوعي، وانضووا تحت راية القيادة سياسةً وديانة ، وغلبوا ما هم فيه من خيرٍ ونعم ومكانة ، ودحضوا كل الشبهات المثارة، بسيف العلم والتفقه الشرعي السديد، فانتشر العلمُ ، وساد الوعي ، وزلزلت الخرافة والضلالة، **والحمد لله أولًا وآخراً...!**

٢٠/إذا عظمَ المطلوب قل المساعدُ..!

- دائمًا ما يكرر أنّ الدروسَ العلمية المتجددة ، لا تنجحُ من طرفٍ واحد ، بل لابد من متابعة إمام المسجد ومكاتب الدعوة، ومحبي الدعوة والمحاضرات ، ولذلك لا أحبذ سؤالي ومتابعتي شخصيًا ، ونعتقد أن حركةَ إمام المسجد وتجهيز الإعلان مما ينشط الضيف والمحاضر ، ويحمله على الاستعداد وحسن التهيؤ ..! ولذلك انقطعت عدد من الدروس بانقطاع تنسيقها، ومتابعة المعنيين بالحفاوة الدعوية .

- وقد سبقت الإشارة إلى ذلك ، ومنها ، منذ عدة سنوات، درس "أشراط الساعة " في جامع الإمام محمد بن سعود

رحمه الله بحي الضرس ، وقطعنا فيه ستة دروس تقريبا، وكان شهريًا ، وحضوره رائعا ، ومتلهفا ، والموضوعاتُ جذابة ..! ولكن من المؤسف انقطعَ لضعف التنسيق والمتابعة، وكان بإشارة الأخ الكريم والتاجر القادم حسين الفلقي حفظه الله .. ولكن شغل الجميع فاختلت المتابعة ، ولا يبلغ المحاضر ، ونقلت الخدمة إلى جهة أخرى ..! وقبلنا كان ثمةَ درس لبعض الفضلاء ، وانتقل إلى جامع اخر، بسبب غياب اللجنة الراعية للدرس ، والمذكرة به، والله المستعان .

- ولذلك قد توجد الهمة ، وتتيسر الظروف ، ولكنْ يقل المعين والناصح والمذكر، فيتلاشى الخير، وينضب النبع

وكما قال المتنبي : وَحيدٌ من الخلان في كل بلدةٍ... إذا عظم المطلوبُ قلّ المساعدُ..!

- ولا نتأمل مساعداً يحضر لك، أو يقرأ عنك، أو يغطي الدرس إعلاميا..! ولكنْ نأمل في ناصح مذكر، وحاشدٍ منبه، يتابع المشايخ، ويراقب طلبة العلم، ويحضُّ الجماعة ، ويلهب الهمم ، حتى يحضر الضيف، فيجدهم قد مُلئوا حرسًا شديدًا وشُهبا ، وعقلًا كبيرا ونُجُبًا. والله ولي التوفيق.

.

٢١/ والقبول من الله..!

- نعم كلمةٌ صادقة ، محققة ، أنك لن تستطيع شراء الناس بالأموال ، أو جلبهم وتجميعهم اليك مددًا طويلة ، لأنَّ المال عزيزٌ ومحدود ، وله أمد مرصود ..! ولكن القبول منحةُ الله ، ونعمته الجلى، وفضله الفسيح على عباده المؤمنين..! وهذا العبارة قالها له الأستاذ محمد عسيري معلم الإنجليزي المشهور ، وقد صلّى عنده سنة ١٤١٩هـ تقريبًا ، وكانت الخطبة (صور من الجهل)...! وفي موسم ربيعي بارد، يشدُّ الآفاقيين..!

- والأولى منها ..مكتوبة في أيام ، وقد سُبكت سبكًا أدبيًا متقنا، والثانية محدودة يظن أنها كُتبت صبيحةَ الجمعة ، فجاءت

سطحيةً واضحة ...! فأتاه الأخ الكريم وقال وشكر، ثم نبه على صعوبة الخطبة الأولى ، وقال : إنها تحتاج إلى قاموس لغوي ، بينما الثانية كانت واضحة سهلة، وصلت إلى الناس بلا حُجب! وقال : يا أخي الجامع مليان ، والقبول من الله، وأمامي جامعان، ولكننا جئنا هنا ، وكان ذلك في جامع اليحيا قديمًا...!

- فتبسم ...وشكرناه على تنبيهه ، ووُعد بتحسين المسار والمسيرة ، والنزول إلى النفوس قربًا وتبسيطا...! وأيًا كان القصد من ذلك الموقف النقدي ، فهي نصيحةُ محب ومستمع" والدين النصيحة " ولكنه ضحك من تجاوزه

جامعين ، ليستمع ذلك الجامع وما يكنه من موضوعات وأفكار مختلفة.

- وأما قوله " القبول من الله " فهي قاطعةُ الأعناق ، وماحقة الآمال، والسرّ الذي تعجز عنه الملايين والوجاهات ..! ولو يمكن شراؤه لاشتراه أولو اليسار والثراء ، ولكنها عديمة المنال، وسبيلها حسنُ الصلة مع الله ، وعبادة السر، والصدق في الموقف والأداء، نسأل الله من فضله والتجاوز عنا ... وقد اغتر الأخُ بكثرة الناس، وتناسى موسمَ الربيع الباعث على نزول السرويين من أبها وكل مكان...! والسلام .

٢٢/ طروحات السيرة الآسرة..!

• تبقى السيرةُ النبوية محلَّ أنظار الناس واهتمامهم ، وروضة أشواقهم وأمانيهم ، لأنها سيرةُ أعظم إنسان ، وأجلِّ شخصية تاريخية عليه الصلاة والسلام ، وتختصرُ لك الإسلامَ، وتجليه ، وتكشف أسراره وآدابه ..! ولذلك وُفق صاحبكم لتناولها باعتبار أنها جزءٌ من تخصص السنة النبوية، ويسّر الله تدريسها في الجامعة لمدة ثلاثة فصول متتالية، ولنزوع الناس إليها، ورقة ما فيها وروعته، فأبحرَ فيها وتأمل ، وغاص وتفكر، وراجعَ وتدبر، فاستفاد منها الفوائد الجُلى، والمعاني الفضلى..!

- ويذكر في دروس الفهد الأولى تناول: ساعات شديدة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم- دروس من السيرة النبوية - كيف نقرأ السيرة - الإيمانُ الباسل..! وسبق أن افتتح ثلاثة دروس في ذلك في جوامع العنود وخميس البحر ، وجامع الراجحي في أبها ، وانتهى بعضها إلى كلمات وجيزة بعد صلاة العشاء..!

- ولكنها لم تنقطع كمختصرات مختارة، ودروس منتقاة ، ومنها فيما يذكر الآن: شباب رفعهم الإيمان - رسولنا المبتلى- رحمة للعالمين - وتكررت مرات، وشارك بها في "ملتقى قنا الدعوي قديمًا " ، وتقريبا أول زيارة كانت لهم

بتنسيق الشيخ الفاضل عبد الله بن هادي حفظه الله ..بوركت جهودهم .

- والملحوظ تلهفُ الناس وانشراحهم القلبي بأحاديث السيرة ونسائمها وأعطارها، مما جعل الداعية يَعُد لذلك عدته، ويتخذ له أهبته ، فهي قصص وسرور، وذكرى وحبور، ومتعةٌ وقصور، تجسد لك أعظم الأناسي، وتبرز فضائله ، وتنشر درره وأسراره. وفي ذلك إلهابٌ للإيمان ، وتصبيرٌ للعبادِ ، وتربية للصالحين .. " وكان السلف يُعلِّمونها كما يُعلمون السورة من القرآن ، وقالوا: هي مآثر الآباء ومفاخرهم ، واعتبروها من علم الدنيا والآخرة ".

- وإذا لم يتحدث فيها مباشرةً تحدث في سير الصحابة رضي الله عنهم، الذين تخرجوا من مدرسة النبوة ، وكيف حملوا الإسلام ، وأدوارهم الإيمانية والحضارية في نشر الإسلامِ، وتجلية صورته الرائعة ..! والله الموفق .

٢٣/ مواضع محرجة..!

- حينما تتأهب علما وتحضيرا ، ولا تجد من رتّب للمحاضرة ولا جمهورها ، ولا الحفاوة بها ، فتلقيها على مضض! أو لا تجد إلا بضعةَ أفراد فتؤديها كجبل يشق إزاحته! أو يكون الإمامُ عابسًا مقطبَ الوجه، ورُتِّبت المحاضرة من وراء ظهره، وليس هو من طلابها ولا الولعين بها ..!
- أو حينما تؤدي محاضرةً باقتدار، فيقوم إمام المسجد لا ليشكر، ولكن ليتعقب، ... وهذا قليل، ولكنه وقع مع العبد الفقير مرةً أو مرتين.. وإلا فغالب الناس لا زالت لديهم مروءة تمنع مثل ذلك....ههههه..!

• تعقد لبس البشت أو تعرقلك فيه، أو سقوط الشماغ كما تقدم حكاياتها ..! ومرةً تمت الخطبة وصدر القميص مفتوح من الاستعجال ، ولم يتنبه إلا بعد وصوله الدار... أو تقصد الجامع فتلقى من سبقكَ وصوتهُ صداح ، وكلماته رانّةٌ في أطراف الحي ..

٢٤/ سبع سنوات..!

- بعد نقلته المريرة من حي الجامع في الربوع، ورحيلهم الى حي الضرس في محايل سنة ١٤١٥هـ، واجهوا مشاقًا في الطريق، وجامعًا وحيدًا مزدحمًا ، لا يوصل له إلا بالسيارة للشيخ الفاضل محمد الناشري رحمه الله، والشيخ عبدالله البارقي رحمه الله بعد ذلك ..ثم يسر الله لهم بعد سنتين تقريبًا قيام مسجد صغير سمي (التقوى) الكائن عند كلية المجتمع حاليًا وقسم الشريعة بتهامة . على يد القاضي الفاضل الشيخ عبدالله السحيباني حفظه الله ، فكُلف به، فمكث فيه قرابةَ سبع سنوات، كانت بمثابة الصقل

الدعوي له، وفيها أسس "مكتبةَ السنة" ، وأنشأ دروسًا علمية في الزاد والواسطية والآجرومية ..!

- وكان يقرأ على أهل الحي نحو مرتين في اليوم دقائق يسيرات، في العصر "رياض الصالحين " كما هو معلوم في بلادنا المباركة ، وتوجيهات الوزارة مشكورةً..! وفي العشاء متنوعات من كتب السنة وشروحاتها المختصرة ، وبعض الرقائق المعاصرة وأشباهها..!

- ورُزق بفضلاء في الحيّ منصتين مخبتين ، وراغبين في العلمِ والخيرات ، وكان يجرب قراءة بعض المصنفات الحديثة له " كطلائع السلوان، ونسمات من أم القرى " في جزئه الأول، والحمد لله على أفضاله.

- ثم بعد سبع سنوات من التأسيس والتربية المفيدة ، جرى انتقاله إلى جامع الملك فهد رحمه الله في الضرس بعد توصية القاضي الصعب والسحيباني حفظهما اللهُ ، وقد حكيت سابقا طريقةُ ذلك، والبرامج الجديدة المتخذة هنالك ...! والله الموفق .

٢٥/ القصصُ القرآني..!

- في القرآن جنةٌ وحدائق ذات بهجة ، من لـم يشـمها أو يـدخل سـوحها ، مـا عـرف العلـمَ ولا بلـغ مفـازه ومفـاده...! ومـن القضـايا المطروحـة دعويـا ، وقطـعَ فيهـا شـوطًا لا بـأس بـه قصص القرآن والتفقه فيها، فقد أُلقي فيها عشـرات الـدروس والمواعظ ، واستطعم حـلاوة القـرآن ، وتلـذذ بفقهـه ودرسـه ومعانيه ، ورأى فيه الخبـر كلـه، والعلـم كنـزه، والجـوهر دره وعطره..! وتذكر مقولة شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة رحمـه الله، حينما تندم آخر حياته :" وندمتُ على تضييع أوقـاتي في غيـرِ معـاني القـرآن"؛ "ذيـل طبقـات الحنابلـة"، ابـن رجـب، (٢/ ٤٠٢).

- وحقا كلامُه ، وصدقًا ندامته، فلا يطعمُ طالبُ العلم بلا تلاوة، ولا يسعدُ بلا تفقه قرآني، ولا يسمو بلا دروس الكتاب، ومعاني الذكر والتنزيل .! (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) سورة محمد . ولذلك يدرك كل طالب علم موفق ، فضلَ ذلك ، ويتمنى من الله أن يبلغه تلك الحلاوة ، ويعيش أسرارها، وينهمر في غاياتها.. وإذا عرفها ، كرِه مغادرتها ، وقدّمها على الملايين والملذات وكل تيجان العلمِ الأخرى ...!
- وتنوعت برامجُ القرآن المقدمة دعويا: فكانت أول ما ظهرت في جامع الفهد بالضرس في رمضان بين الأذان والإقامة "سلسة قصص القرآن باختصار" سنة

١٤٢٥هـ، وقد طُبعت في " الدرس الرمضاني " لثلاثة مواسم متوالية . ثم مختصرات مختلفة تمس القران وعطلته ودروسه..! ثم درس زيد بن حارثة، وسبقَ الكلامُ عليه ، ثم قرابةَ اربع سنيين في جامع الأميرة العنود ، تُستخرج آية من التراويح ويعلق عليها فقها ووعظًا وتربيةً..! والعجيبُ أنها تشعركَ بالامتلاء العلمي وفخاره، ولا يكاد يُشبعُ منها ..! وتلا ذلك بحمد الله مصنفاتٌ متعددة، ومن آخرها:" موقظاتُ التدبر القرآني ، وآية وأُهبة " تقبل الله من الجميع وجعلنا من أهل كتابه وخاصته ، والسلام .

٢٦/القراءات المسجدية..!

• من وسائلِ الدعوة العظيمة والتي تُحدثُ أثراً وعلمًا وحسنَ عاقبة، وتصقلُ الروح واللسان والبيان، القراءة المستديمة لجماعة المسجد ، وتعليمهم الخيرَ والذكر، وتبصيرهم في أمور دينهم ... وقد استيقنها وآمن بها عميقَ الإيمان! ومرةً اشتكى صديقٌ له في الكلية صعوبة النحو ، فقال: اقرأ على الناس كل يوم .. يعالجُ اللحن، ويذهب الاعوجاج .. وضحكوا ...! وإذا رأينا إماما لا يقرأ على الناس تضايقنا وعدينا ذلك تقصيرًا وفتورا عن الخير ، فالناسُ في الغالب متشوقون للخطاب الدعوي المثمر ...!

- ولكنها قراءاتٌ مختصرة، وتعليقاتٌ موجزة ، وهمساتٌ محددة، لا سيما للقارئ اليومي عصرًا وعشاءً، ولا تتجاوز الدقائقَ المعدودات ، ولكنَّ نفعَها كبير، وعاقبتها حميدة، وتوجيهاتها غالية..! ينتفع بها الشيخُ قبل الحضور ، والإمامُ قبل المصلين ، ولله الحمد والمنة ...!
- وبفضل الله خُتمت كتبٌ، وتكررت مجلدات، ورسخت فوائد من جراء ذلك الالتزام اليومي، والتعاهد الثابت ، والوظيفة الراسخة ، فمثلا ختم "رياض الصالحين " نحو أربع مرات . ومواضع من البخاري مسلم وصحيح الترغيب والترهيب وبعض كتب السيرة النبوية كالرحيق المختوم ، وصحيح السيرة لإبراهيم العلي، وتعليقات على بلوغ

المـرام، ومختصـر زاد المعـاد وكتيبـات معاصـرة في الترقيـق والتوجيهات العامة، وبعض كتب العبد الفقير المعدة خاصة للمسـاجد "كالنسـمات والطلائـع" ، وشـبهها...! وهـذا ما يتذكره الآن، وربما غابت أشياء...!

- ولكنها تجربة دعوية ثرية يلقى المجدُّ بركاتها ولـو بعـد حـين فيوصـي إخوانـه مـن أئمـة المسـاجد بالجـد فيهـا والجلَـد، والبدار والتحمس ، والمسارعة والانضـباط ، وإيـاكم وكـلامَ مثبط، أو تخريفَ محطِّم، أو تسطيحات مخلط ..! واحتسبوا فيها الأجر والنفع ، والتبصير .. (ومن أحسنُ قـولًا ممـن دعـا إلى الله وعمل صالحا) سورة فصلت . والسلام ...!

٢٧/ضع سيارتك هنا..!

- في محاضرة نادرة الوقوع لم نصلهم بسيارتنا كما هو معتاد.. - وربما هذا من تقصيرنا الدعوي - بل ما إن وصلنا مبكرًا ، أو خرجنا مبكرين بعد العصر في أوله ، واتجهنا طريق السر من محايل، إلا يستقبلنا المنسق الأستاذ أحمد عسيري حفظه الله، عند كسّارة الفلقي وقال : ضعوا سيارتكم هنا واركبوا معي وتعجبنا ،، لأننا لا نحب الإحراج ، وسيارتنا معنا ونحتسب الثواب فيها، ومواصلة إخواننا المسلمين في كل مكان. !

- وكانت الوجهةُ عند قرية " المليحة" التابع لمركز السعيده بمحافظة محايل عسير ، وطريق ترابي وعر طويل، ومختلف

التضاريس بطول ٤٥ كم تقريبا ، حيث أن القرية تقع على آخر الحدود الإدارية لمنطقة عسير مع منطقة مكة ..! وهو ما جعل الأخ الكريم يأمرنا أمرًا لوعورة الخط، وبالفعل استقلينا سيارته الهايلكس، ورأينا الطريق الصعب الطويل ، وحكى لنا مغامراتهم في الليل، وأقاصيص جميلة وفيها معاناة ...!

- ووصل الركب وكان معنا الأستاذ أحمد زيلعي، وهنالك تعرفنا على قوم كرامٍ ذوي شيمة وأدب ، ورأينا أجواءَ القرية القديمة ، والمزارع والدواب في الطرقات، وملاصقة بالبنيان ..واستذكرت محايل مدينتنا قبل ٤٠ سنة تقريبا، وكانت

الحياة تتكنفها البساطة ، والموروثات التقليدية ، قد ملأت الأنحاء...!

- وجاءت المحاضرةُ فيسرها الله بفضله وتوفيقه ، وسمرنا معهم علمًا وزادًا وأنسًا، ثم قفلنا راجعين في الطريق الوعرة وقد أظلمَ الليل ، واشتد الغسقُ، في تلك الطريق الموحشة ، وأوصلونا إلى مركبتنا ، ولم يخلُ الطريق من طرائفهم ليلًا ، وتخيلات المخاطر ووقائعها ، **جزاهم الله خيرًا...!**

٢٨/الاستجمام الدعوي..!

- مـن اسـتطعمَ الـدعوة لا يسـلو بغيرهـا، ومـن عـاش ملـذاتها غاص فيهـا، ويسـتحيل التباعـد عنهـا أو تقـديم الاسـتقالة ..! لأنها سحرٌ عجيبٌ، وشهد خصيب، وطعام رطيب، لا يمكن الاسـتغناء عنهـا ، ولا تعوضـها الملايـين ولا التطـواف حـول منتجعات العالم الزاهية !

- فجاءت الرحلةُ المصرية للدراسـات العليـا قسـرًا لمغـادرة المملكة في ظل توهج دعوي، ونشاط علمي مشع باركَ فيه الباري تعالى، وعمت أفضاله، وكان ذلك سنة ١٤٢٥هـ..! فدب فيه الحزن، وخالطته الكآبة... ولكن مـا باليـد حيلـة! فانطلقوا مع رهـط مـن الشـباب، وهنالـك اعتبرهـا سـياحةً

فكرية، واستثمرها في التصنيف العلمي وكتابة البحوث ، والانتفاع من العلماء والمحققين ...!

- وتألم كثيرًا لفقدان الهم الدعوي ، ولكن استعاضها بكتابة بعض المؤلفات نحو : تنبيهات الأكابر، والمنسك الوافر، وما يعيش له الجهابذة ، وأزمة الفهم ، وأزاهير الروضة وأشباهها ، وقد تجاوزت ١٢ عشر كتابا ، بفضل الله ورحمته..!

- فكانت هذه متنفسًا عن الفقد الذي عاشه ، واستطعم مرارته، لأنَّ في الدعوة والبلاغ لذةً متناهيةً ، وسرورًا نادرًا ، وبركةً فاخرة ، لا تكاد تحصل في كثير من الأمور والشؤون والحواج...! والحمدُ للهِ الذي بنعمته تتم الصالحات .

- وقد عُرضت عليه في مصر خطبة عيد في شـارع أحمـد عرابـي بالمهندسين ، ومحاضرة قبلها فاعتذر لغياب المقصد لديـه، وانشغالهم بهـدف محـدد جـاءوا لـه، ولـيس مـن المستحسـن خوض مثل ذلك حاليًا.. واكتفى بالكتابة والتأملات...!

٢٩/ رمضان والدعوة..!

- اشتهَر عن بعضِ السلف العزلةُ القرآنية في رمضان ، والعكوفُ على كتاب الله تلاوةً وفهما وتدبرا، وهذا مشهور عن الزهري ومالك رحمهم الله ، ولكنه ليس سمتا للجميع، ويبدو أن أهل زمانهم كانوا مقبلين في رمضان على العبادة ولا يُحوجونهم إلى التدريس والفتيا، مما جعلهم أحباسَ مساجدهم ومصاحفهم ..!

- لكن في زماننا المختلف، باتت الحاجةُ ماسة للوعظ الرمضاني ، والفتيا الرمضانية ، ومشكلات الصيام تربية وفقهًا، مما يجعل بعض طلاب العام يعقدون مجالس عديدة في رمضان فيخلطون الصوم بالذكر والعلم والتربويات ،

وهـذا مـا يسـلكه العبـد الفقيـر، فيسـتنيرُ بـذلك روحـا وقلبـا ، وكذلك الناس يتفاعلون ويسألون عن الفقه والمواعظ...!

- ولذلك صار ومضى موسمًا دعويا، يتفنن فيه بعضُهم ويقدم عشرات الدروس، ويزور المساجد..! والعبدُ الفقير منذ سنة ١٤٣٤هـ وله درسان في رمضان قبل التراويح ، ليلة في الفهد وليلة في العنود، لم تنقطع الا مع " زمان كورونا "ونفع الله بها، وحولت بعضُها إلى كتيبات مطبوعة ، والحمدلله على توفيقه ...!

- ولـذلك كانـت اجتهادنـا قائمـًا علـى نفـع النـاس دعويـا في رمضان ، خلاف الشائع قديمًا ، ولم تطب لـه العزلة ، وغالبًا ما تربط الدروس بالقرآن وفقهه ومواعظه، ولـذلك لـم نبتعـد كثيرا ، ولله الحمدُ والمنة.

٣٠/ الدعوةُ عن بُعد..!

- حاول كثيرٌ من الدعاة التشاركية عبر مواقع التواصل الاجتماعي ، وكان لبعضهم تأثيرات ضخمة، اجتاحت الآفاق ، وبلغت العنان، ونفع الله بها منافع ومواقع..! وحاول هو كذلك عبر الفيس بوك بإلقاء محاضرات ، ولكنها مشاركات محدودة ... وأعوزهم حينها الجهة الدعوية والتبني المالي والإعلامي لذلك، فتلاشت كل الهموم ، واكتفي بالكتابة فيها فقط..!
- وقد صمم بعض طلابنا قنوات يوتيوبية سبقت الإشارة إليها وسجلت خطب ودروس ..كأحمد الألمعي وعلي الأحمري ومحمد جابر الصحفي المشهور في صحيفة محايل

الالكترونية ، وهي جهود فردية كانت تعوزها أيضا جهة داعمة وتوظيف وترتيب مسبقي ... ولكنْ كما قال القائل :

فلو أن قومي أنطقتني رماحهم ** نطقت ولكنّ الرماحَ أجرتِ

- ثم لما حلت جائحة كورونا ومنعت العلائق ، وتوقفت المساجد ، قبل سنتين ، أنعم اللهُ ببرامج التواصل عن بعد كزوم وشبهه، ويسر الله المشاركة وشرحت كتبٌ مجددة، ولكن أيضا كان ينقصها ترتيب إداري وإشراف جهات داعمة، أقل ما تجودُ به الدعم الإعلامي والحشد له .. ولكن دون جدوى ايضا ..! ولذلك كانت تلقى من جهاز الجوال ، وقد يسرت التقنية في بلادنا الطيبة ، وتطوراتها الإفادة في هذا السياق، وتقديم محاضرات مختلفة، ومن اخرها المشاركة

في برنامج الموهوبين الوطني تحت رعاية إدارة تعليم محايل مشكورة ، وقدمت ورقة (الموهوبون في عصر الإسلام) ..

ولله الحمد والمنة .

تم كتاب (فؤاد شيق) من الذاكرة الدعوية ، والحمدُ للهِ ربِ العالمين .